الكلية	الآداب
القسم	قسم اللغة العربية
المادة باللغة الانجليزية	Linguistics
المادة باللغة العربية	اللسانيات
المرحلة الدراسية	الماجستير - اللغة
اسم التدريسي	أ.د. علي حسين خضير الشمري
عنوان المحاضرة باللغة الانجليزية	Linguistic Trends
عنوان المحاضرة باللغة العربية	الاتجاهات اللسانية
رقم المحاضرة	الرابعة
المصادر والمراجع	1-. حسن، خالد إسماعيل. في اللسانيات العربية المعاصرة. القاهرة: دار النشر الأكاديمي، 2021.
	2-المجمع الجزائري للغة العربية. "الاتجاهات المعاصرة في اللسانيات وآفاق البحث في اللغة العربية." مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، المجلد 20، العدد 2 (2024): 9–42.
	3- بني عمر، أحمد. "علم اللسانيات في اللغة العربية." موقع موضوع، 16 أكتوبر 2021.

الاتجاهات اللسانية: بين الأصول الفلسفية والمدارس المنهجية

سنشرع في تناول الاتجاهات اللسانية من منطلقاتها الفلسفية، وبخاصة أصولها الأنطولوجية (الوجودية) والإبستمولوجية (المعرفية)، ثم ننتقل إلى استعراض أبرز مدارسها، لنكشف عن الصلات العميقة بين تلك الأصول النظرية وتجلّياتها التطبيقية في الفكر اللساني الحديث.

1-لأصول الأنطولوجية والإبستمولوجية الموجِّهة للمدارس اللسانية

تُعدّ الأصول الفلسفية، ولا سيما الأنطولوجية والإبستمولوجية، من المحددات الرئيسة التي توجه مسارات البحث اللساني، وتُسهم في تشكيل ملامح المدارس المختلفة. وغالبًا ما يُعزى التباين المنهجي بين الاتجاهات اللسانية إلى اختلاف مواقفها من هذه الأصول.

ولا يشترط أن تكون هذه الأصول سابقة زمنيًا لنشوء المدارس، بل قد تتبلور لاحقًا بوصفها أدوات تفسيرية تضيء جوانب من تلك الاتجاهات وتفسّر خصائصها. وقد آثرنا في هذا السياق أن نفصل الحديث عن هذه الأصول الفلسفية، بعيدًا عن السياقات التاريخية والجغرافية التي نشأت فيها، لنتمكن لاحقًا من ربطها بالمدارس اللسانية الكبرى التي ظهرت في القرن العشرين، وتوضيح أثرها المباشر أو غير المباشر في تشكيل تلك المدارس.

إن الغاية من هذا الطرح ليست الوقوف عند الجزئيات أو الآراء المتفرقة، بل الغوص في الأعماق النظرية التي تفسّر البناء الكلي للاتجاهات اللسانية، وتكشف عن منطقها الداخلي. ولا يخفى على الباحثين أن دراسة أصول العلوم تُعدّ مدخلًا لا غنى عنه لفهم الإطار النظري الذي يلمّ شتاتها، ويمنحها وحدتها المنهجية، ويعين على فهم فروعها، وربط أجزائها في نسيج معرفي متماسك.

أبرز الأصول الفلسفية المؤثرة

من خلال الاستقراء والتحليل، يمكن القول إن الأصول الفلسفية التي وجّهت المدارس اللسانية تتعلق بجملة من القضايا، منها:

- مفهوم العلمية في اللسانيات، وحدود الكفاية العلمية
- مدى مشروعية التجريد في دراسة الظواهر اللغوية
- الموقف الأنطولوجي من الكليات والجزئيات
- التمييز بين اللغة والكلام، وتحديد ما ينبغي أن يكون موضوعًا للدراسة
- طبيعة اللغة، وأولويات الاهتمام اللساني بها

وسنتناول هذه الأصول في سياق الحديث عن المدارس اللسانية، لنكشف عن تفاعلها مع السياقات النظرية والتطبيقية.

مفهوم العلمية في اللسانيات

يتفق اللسانيون على أن اللسانيات علم يُعنى بدراسة اللغة، لكنهم يختلفون في تحديد ما يُعدّ علميًا وما لا يُعدّ كذلك، مما أدى إلى تباين في تحديد نطاق العلم وحدوده.

في مطلع القرن التاسع عشر، ساد الاعتقاد بأن التوجه التاريخي في دراسة اللغة هو ما يمنحها صفة العلمية، كما أشار إلى ذلك اللغوي الدنماركي *أوتو يسبرسن* بقوله:

"السمة المميزة لعلم اللغة كما يُفهم اليوم هي السمة التاريخية".

وقد ساهمت ثلاثة تيارات فلسفية في تشكيل مفهوم العلم داخل اللسانيات:

- **التجريبية(Empiricism)**
- **الوضعية(Positivism)**
- **العقلانية(Rationalism)**

وقد بلغت أهمية هذه النزاعات الفلسفية حدًا دفع *جون لاينز* إلى القول:

"إنه لا يمكن لطلاب اللسانيات أن يفهموا بعض القضايا النظرية والمنهجية دون معرفة التجريبية والوضعية".

التجريبية والوضعية: المدرسة الوصفية الأمريكية

تُعد المدرسة الوصفية الأمريكية، بقيادة *ليونارد بلومفيلد*، من أبرز من تبنّى المنهج التجريبي، متأثرةً بعلم النفس السلوكي الذي أسسه *جون واطسن*.
وقد دعا السلوكيون إلى الصرامة في الموضوعية، ورفضوا الاعتماد على الحدس والاستبطان، كما رفضوا إدخال الأنظمة العميقة في تفسير السلوك اللغوي.

وقد وصف *نعوم تشومسكي* هذا الرفض بأنه:

"تعبير عن افتقار إلى الاهتمام بالنظرية والتفسير".

وأشار إلى أن التمسك بالموضوعية دون تبصّر يؤدي إلى جفاف في الدراسة، ويُحكم على البحث اللغوي بالعقم. فبينما كان بلومفيلد وأتباعه يسألون" :كيف نصف ما يقوله المتكلم؟"، كان التشومسكيون يسألون" :ما الذي يدور في عقل المتكلم السليقي؟"

العقلانية: المدرسة التوليدية التحويلية

انطلقت المدرسة التوليدية، بقيادة *تشومسكي*، من مبدأ أن اللغة ليست مجرد سلوك خارجي، بل هي مفتاح لفهم العقل البشري.
وقد استندت إلى ظاهرة **اللاتناهي (Infinity)** في عدد الجمل الممكنة، مما يدل على أن ما يحمله المتكلم في ذهنه يفوق بكثير ما يُقال فعليًا.

ومن هنا، أصبح **الحدس (Intuition)** و**الاستبطان (Introspection)** وسيلتين أساسيتين لاستكشاف الكفاية اللغوية، وبرزت مفاهيم كانت تُعدّ ميتافيزيقية، مثل:

- البنية العميقة
- العمليات الذهنية الحاسوبية
- القواعد العمومية الفطرية

وقد وصف *روبنز* الفرق بين المنهجين بقوله:

"كان تشومسكي ينظر إلى اللغة من الداخل، أي إلى كفاية المتكلم السليقي، بينما كان التجريبيون ينظرون إليها من الخارج، كما تفعل العلوم الطبيعية".

وبناءً على هذا التصور، اعتبر تشومسكي أن اللسانيات فرع من **علم النفس الإدراكي (Cognitive Psychology)**.

الوضعية: بين التحقق والتخفيض

رغم التباين التاريخي والفلسفي بين التجريبية والوضعية، فإنهما تلازمتا في التأثير على اللسانيات.
فالوضعية، بوصفها نزعة علمانية، نشأت في سياق نقد الميتافيزيقا، ورفضت كل ما لا يمكن إثباته فيزيائيًا.

وتقوم على مبدئين:

- **مبدأ التحقق (Verification Principle)**: لا تُعدّ الفكرة علمية إلا إذا أمكن إثباتها بالملاحظة أو بمنهج علمي معياري.
- **مبدأ التخفيض (Reductionism Principle)**: يُفترض وجود أولويات للعلوم، بحيث تكون الفيزياء والكيمياء أساسًا للعلوم الأخرى.

الاتجاهات اللسانية: بين الفلسفة الوضعية والكفاية التفسيرية وحدود التجريد

أولًا: الفلسفة الوضعية ومبدأ التخفيض

في بنية العلم الموحد، تُفهم العلوم الأدنى أساسًا من خلال العلوم الأعلى أساسًا؛ فالكيمياء تُفسَّر في ضوء الفيزياء، والبيولوجيا تُبنى على الكيمياء، وهكذا حتى نصل إلى العلوم الإنسانية كعلم النفس والاجتماع. ويُعرف هذا التوجه باسم **مبدأ التخفيض (Reductionism)**، الذي يفترض أن مفاهيم ومناهج العلوم الأقل تأسيسًا تُعاد صياغتها وتفسيرها في ضوء مفاهيم العلوم الأكثر تأسيسًا.

ورغم أن **مبدأ التحقق (Verification Principle)** قد تراجع حضوره في الفكر المعاصر، إلا أن أثره لا يزال قائمًا في بعض النظريات، كـ **نظرية المعنى القائمة على شرط الصدق (Truth-Conditional Theory of Meaning)**. أما مبدأ التخفيض، فقد فقد جاذبيته التي كان يتمتع بها في عهد بلومفيلد، لا سيما مع تصاعد النقد الموجّه للفلسفة الوضعية بوصفها غير عملية وعقيمة.

وقد اتسمت اللسانيات في القرن العشرين، شأنها شأن علم النفس والاجتماع، بطابع وضعي تجريبي، يرفض إدخال الموضوعات التي تتجاوز حدود الملاحظة أو تتعدى العناصر القابلة للتحقق. وهذا ما يميزها عن الفلسفة العقلانية التي تبنّتها المدرسة التوليدية بقيادة تشومسكي، في مقابل المدرسة السلوكية التي اتخذت من التجريبية والوضعية إطارًا نظريًا لأفكارها.

ثانيًا: الكفاية في البحث اللساني

يُعدّ مفهوم **الكفاية (Adequacy)** أحد المفاتيح المنهجية التي تفسّر التباين بين المدارس اللسانية. ويتحدث اللسانيون عادة عن ثلاثة مستويات من الكفاية:

1. **الكفاية في الملاحظة** :وهي المستوى الأدنى، وتُعنى بجمع المادة اللغوية.
2. **الكفاية في الوصف** :وهي المستوى الوسيط، وتُعنى بتحليل المادة الملاحظة.
3. **الكفاية في التفسير** :وهي المستوى الأعلى، وتُعنى بتأويل الظواهر اللغوية وربطها بمبادئ تفسيرية عامة.

بينما تكتفي بعض المدارس بالمستويين الأولين، يُصرّ تشومسكي على أن الكفاية التفسيرية هي الأهم على الإطلاق، لأنها تُفضي إلى فهم أعمق للظاهرة اللغوية.

ويختلف اللسانيون في موضوع الملاحظة:

- **السلوكيون** يركزون على العناصر اللغوية القابلة للملاحظة المباشرة.
- **التوليديون** يرون أن المعرفة اللغوية للمتكلم السليقي هي الموضوع الحقيقي للملاحظة، وأن التعبيرات والجمل الممكنة تُستقى من الحدس، لا من المادة المدونة.

ويُعدّ **الوصف** توجهًا نحو الحقائق، بينما تُعنى **الملاحظة** بجمع المادة اللغوية. ولا تتحقق الكفاية في أي منهما إلا إذا تمّا على نحو شامل ومنهجي. وقد اعتاد السلوكيون والبنيويون على الاقتصار على الوصف دون التفسير، بينما رأى التوليديون أن الوصول إلى قواعد عالمية يتطلب الغوص في المبادئ المفسّرة للظواهر.

ويقول تشومسكي في هذا السياق:

"يتحقق المستوى الأدنى من النجاح إذا قدّم النحو المادة الملاحظة بشكل سليم، ويُبلغ المستوى الأعلى حين يفسّر الحدس اللغوي للمتكلم السليقي، أما المستوى الأقصى من النجاح فيتحقق عندما تُقدّم النظرية اللسانية أساسًا عامًا لاختيار القواعد التي تحقق المستوى الثاني، على حساب قواعد أخرى لا تحقق ذلك". ويُعدّ هذا التوجه من أبرز ما يميز التوليديين، إذ يرون أن ما هو ملاحظ ليس بالضرورة هو الأهم، وأن ما هو مهم قد يصعب ملاحظته، وهو ما يشبه معالجة النحاة العرب لبعض الأبواب النحوية والصرفية التي اتسمت بالتعليل والتقدير والتأويل.

ثالثًا: حدود التجريد في البحث اللساني

تختلف المدارس اللسانية في مدى التجريد الذي ينبغي أن يمتد إليه التحليل. وتُعرف المدرسة التوليدية بإغراقها في التجريد، وهو ما يرتبط ارتباطًا وثيقًا بتعويلها على الكفاية التفسيرية.

فالوصف السطحي للبنى اللغوية لا يكفي لتحقيق طموحات التوليدي، بل ينبغي البحث في البنى العميقة التي تفسّر الشكل الظاهري. وقد وجد التوليديون ضالتهم في مفهوم **البنية العميقة(Deep Structure)** ، الذي يُعدّ مفتاحًا لفهم العمليات الذهنية الكامنة وراء إنتاج الجمل. كما يُميز التوليديون بين **الجملة (Sentence)** و**القولة (Utterance)**، استنادًا إلى تفريق دي سوسير بين اللغة والكلام:

- الجملة: تنتمي إلى اللغة، وهي نتاج تجريد مجموعة من القولات المتشابهة.
- القولة: تنتمي إلى الكلام، وهي تركيب فعلي يُنطق في سياق محدد.

وقد أشار *شنل* إلى وجود خمسة مستويات من التجريد، تبدأ بالأحداث الصوتية والخطية، وتنتهي بأشكال التعبير النحوية المجردة، مرورًا بالبنى الوسطى التي تقع بين البنية السطحية والعميقة.

جامعة الأنبار
1987 1408
UNIVERSITY OF ANBAR